تفسير

البحر المحيط

لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي

المتوفى سنة ٧٤٥هـ

دراسة وتحقيق وتعليق

الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
الشيخ علي محمد معوض

شارك في تحقيقه

الدكتور زكريا عبد المجيد النوقي
أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر

الدكتور أحمد النجولي الجمل
أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر

قرظه

الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن كلية أصول الدين جامعة الأزهر

الجزء الثالث

المحتوى

آل عمران: ١٠٢ ـ المائدة: ٨١

دار الكتب العلمية
بيروت ـ لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان
ص.ب: ١١/٩٤٢٤ - تلكس: Nasher 41245 Le
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٣٦٤٣٩٨ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣
فاكس: ٤٧٨١٣٧٣ / ١٢١٢ / ٠٠

الفارسي إلى أنها قد تكون جواباً فقط في موضع ، وجواباً وجزاء في موضع نفي مثل : إذن أظنك صادقاً لمن قال : أزورك ، هي جواب خاصة ، وفي مثل إذن أكرمك لمن قال : أزورك ، هي جواب وجزاء ، وذهب الأستاذ أبو عليّ إلى أنها تتقدر بالجواب والجزاء في كل موضع وقوفاً مع ظاهر كلام سيبويه ، والصحيح قول الفارسي ، وهي مسألة يبحث عنها في علم النحو ، والأجر كناية عن الثواب على الطاعة ، ووصفه بالعظم باعتبار الكثرة ، أو باعتبار الشرف ، والصراط المستقيم هو الإيمان المؤدّي إلى الجنة ، قال ابن عطية ، وقيل : هو الطريق إلى الجنة ، وقيل : الأعمال الصالحة ، ولما فسر ابن عطية الصراط المستقيم بالإيمان ، قال : وجاء ترتيب هذه الآية كذا ، ومعلوم أن الهداية قبل إعطاء الأجر ، لأن المقصد إنما هو تعديد ما كان الله ينعم به عليهم ، دون ترتيب ، فالمعنى : وكهديناهم قبل حتى يكونوا ممن يؤتى الأجر انتهى ، وأما إذا فسرت الهداية إلى الصراط هنا بأنه طريق الجنة ، أو الأعمال الصالحة ، فإنه يظهر الترتيب ، ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين** ﴾ قال الكلبي : نزلت في ثوبان مولى رسول الله ـ ﷺ ـ وكان شديد الحب لرسول الله ـ ﷺ ـ فأتى ذات يوم ، وقد تغير لونه ، ونحل جسمه ، فقال : يا ثوبان ما غير لونك ، فقال : يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع ، غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ، ثم ذكرت الآخرة فأخاف أن لا أراك هناك ، لأني أعرف أنك ترفع مع النبيين ، وأني وإن كنت أدخل الجنة كنت في منزل أدنى من منزلك ، وإن لم أدخل الجنة فذلك حين لا أراك أبداً ، انتهى قول الكلبي [١] ، وحكي مثل قول ثوبان عن جماعة من الصحابة ، منهم عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري ، وهو الذي أرى الأذان ، قال : يا رسول الله إذا مت ومتنا كنت في عليين فلا نراك ولا نجتمع بك ، وذكر حزنه على ذلك فنزلت [٢] ، وحكى مكي عن عبد الله هذا أنه لما مات النبي ـ ﷺ ـ قال : اللهم اعمني حتى لا أرى شيئاً بعده ، فعمي [٣] ، والمعنى في ﴿ مع النبيين ﴾ أنه معهم في دار واحدة ، وكل من فيها رزق الرضا بحاله ، وهم بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر ، وإن بعد مكانه ، وقيل : المعية هنا كونهم يرفعون إلى منازل الأنبياء متى شاؤوا تكرمة لهم ، ثم يعودون إلى منازلهم ، وقيل : إن الأنبياء والصديقين والشهداء ينحدرون إلى من أسفل منهم ليتذاكروا نعمة الله ، ذكره المهدوي في تفسيره الكبير ، قال أبو عبد الله الرازي [٤] : هذه الآية تنبيه على أمرين من أحوال المعاد ، الأول : إشراق الأرواح بأنوار المعرفة ، والثاني : كونهم مع النبيين ، وليس المراد بهذه المعية في الدرجة ، فإن ذلك ممتنع ، بل معناه أن الأرواح الناقصة إذا استكملت علائقها مع الأرواح الكاملة في الدنيا بقيت بعد المفارقة تلك العلائق ، فينعكس الشعاع من بعضها على بعض ، فتصير أنوارها في غاية القوة ، فهذا ما خطر لي انتهى كلامه ، وهو شبيه بما قالته الفلاسفة في الأرواح إذا فارقت الأجساد ، وأهل الإسلام يأبون هذه الألفاظ ومدلولاتها ، ولكن من غلب عليه شيء وحبه جرى في كلامه ، وقوله ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ تفسير لقوله ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ الفاتحة : الآية ٦ وهم من ذكر في هذه الآية والظاهر أن قوله ﴿ من النبيين ﴾ تفسير للذين أنعم الله عليهم ، فكأنه قيل : من يطع الله ورسوله منكم ألحقه الله بالذين تقدمهم ممن أنعم عليهم ، قال الراغب : ممن أنعم عليهم من الفرق الأربع في المنزلة والثواب ، النبي بالنبي ، والصديق بالصديق ، والشهيد بالشهيد ، والصالح بالصالح ، وأجاز الراغب أن يتعلق ﴿ من النبيين ﴾ بقوله ﴿ ومن يطع الله والرسول ﴾ أي : من النبيين ومن بعدهم ، ويكون قوله

---

(١) انظر الطبري ٨/٥٣٤ ، ٥٣٥ والدر ٢/١٨٢ وغرائب النيسابوري ٥/٩٢ وأسباب النزول للسيوطي ص ٨٢ ، ٨٣ والوسيط ٧٨ خ والمعجم الصغير للطبراني ١/٢٦ والأوسط ١/٢٩٦ والكبير ١٢/٨٦ ، ٨٧ والحلية لأبي نعيم ٤/٢٣٩ ، ٢٤٠ وفتح القدير ١/٤٨٥ ومجمع الزوائد كتاب التفسير من سورة النساء ٧/٧ وأسباب النزول للواحدي ص ١٢٢ ، ١٢٣ والرازي ١٠/١٣٦ .

(٢) انظر المراجع السابقة .

(٣) انظر الرازي ١٠/١٣٦ والقرطبي ٥/١٧٥ .

(٤) انظر الرازي ١٠/١٣٧ .

﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ إشارة إلى الملأ الأعلى ، ثم قال ﴿ وحسن أولئك رفيقاً ﴾ ويبين ذلك قول النبي ـ ﷺ ـ حين الموت « اللهم ألحقني بالرفيق الأعلى »(١) وهذا ظاهر انتهى ، وهذا الوجه الذي هو عنده ظاهر ، فاسد من جهة المعنى ، ومن جهة النحو ، أما من جهة المعنى فإن الرسول هنا هو محمد ـ ﷺ ـ أخبر الله تعالى أن من يطيعه ويطيع رسوله فهو مع من ذكر ، ولو كان ﴿ من النبيين ﴾ معلقاً بقوله ﴿ ومن يطع الله والرسول ﴾ لكان قوله ﴿ من النبيين ﴾ تفسيراً لـ ﴿ من ﴾ في قوله ﴿ ومن يطع ﴾ فيلزم أن يكون في زمان الرسول أو بعده أنبياء يطيعونه ، وهذا غير ممكن ، لأنه قد أخبر تعالى أن محمداً هو خاتم النبيين ، وقال : هو ـ ﷺ ـ « لا نبي بعدي »(٢) وأما من جهة النحو ، فما قبل فاء الجزاء لا يعمل فيما بعدها ، لو قلت إن تقم هند فعمرو ذاهب ضاحكة ، لم يجز ، واختلفوا في الأوصاف الثلاثة التي بعد النبيين ، فقال بعضهم : كلها أوصاف لموصوف واحد ، وهي صفات متداخلة ، فإنه لا يمتنع في الشخص الواحد أن يكون صديقاً وشهيداً وصالحاً ، وقيل : المراد بكل وصف صنف من الناس ، فأما الصديق فهو فعيل للمبالغة كشريب ، فقيل : هو الكثير الصدق ، وقيل : هو الكثير الصدقة ، وللمفسرين في تفسيره وجوه ، الأول : أن كل من صدق بكل الذي لا يتخالجه فيه شك فهو صديق ، لقوله تعالى ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون ﴾ الحديد [١٩] ، الثاني : أفاضل أصحاب الرسول ، الثالث : السابق إلى تصديق الرسول ، فصار في ذلك قدوة لسائر الناس ، وأما الشهيد : فهو المقتول في سبيل الله ، المخصوص بفضل الميتة وفرق الشرع حكمهم في ترك الغسل والصلاة ، لأنهم أكرم من أن يشفع فيهم ، وقد تقدم الكلام في كونهم سموا شهداء ، ولكن لفظ ﴿ الشهداء ﴾ في الآية يعم أنواع الشهداء الذين ذكرهم رسول الله ـ ﷺ ـ وقال أبو عبد الله الرازي : لا يجوز أن تكون الشهادة مفسرة بكون الإنسان مقتول الكافر ، بل نقول : الشهيد فعيل بمعنى فاعل ، وهو الذي يشهد لدين الله تارة بالحجة بالبيان ، وتارة بالسيف والسنان ، فالشهداء هم القائمون بالقسط ، وهم الذين ذكرهم الله في قوله ﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو ﴾ ، والصالح : هو الذي يكون صالحاً في اعتقاده وعمله ، وجاء هذا التركيب على هذا القول على حسب التنزل من الأعلى إلى الأدنى إلى أدنى منه ، وفي هذا ترغيب للمؤمنين في طاعة الله وطاعة رسوله ، حيث وعدوا بمرافقة أقرب عباد الله إلى الله ، وأرفعهم درجات عنده ، وقال الراغب : قسم الله المؤمنين في هذه الآية أربعة أقسام ، وجعل لهم أربعة منازل ، بعضها دون بعض ، وحث كافة الناس أن يتأخروا عن منزل واحد منهم ، الأول : الأنبياء الذين تمدهم قوة الإلّهية ، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من قريب ، ولذلك قال تعالى ﴿ أفتمارونه على ما يرى ﴾ النجم [١٢] ، الثاني : الصديقون ، وهم الذين يزاحمون الأنبياء في المعرفة ، ومثلهم كمن يرى الشيء عياناً من بعيد وإياه عنى أمير المؤمنين حين قيل له : هل رأيت الله ، فقال : ما كنت لأعبد شيئاً لم أره ، ثم قال : لم تره العيون بشواهد الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، الثالث : الشهداء ، وهم الذين يعرفون الشيء بالبراهين ، ومثلهم كمن يرى الشيء في المرآة من مكان قريب ، كحال حارثة حيث قال : كأني أنظر إلى عرش ربي ، وإياه قصد النبي ـ ﷺ ـ حيث قال « اعبد الله كأنك تراه » ، الرابع : الصالحون ، وهم الذين يعرفون الشيء باتباعات وتقليدات الراسخين في العلم ، ومثلهم كمن يرى الشيء من بعيد في مرآة ، وإياه قصد النبي ـ ﷺ ـ بقوله : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » انتهى كلامه ، وهو شبيه بكلام المتصوفة ، وقال عكرمة : النبيون محمد ـ ﷺ ـ والصديقون : أبو بكر ، والشهداء : عمر وعثمان وعلي ، والصالحون : صالحو أمّة محمد ـ ﷺ ـ انتهى ،

---

(١) أخرجه البخاري ١٨/٦ ، ١٩ ، ٩٤/٨ ، ١٣٣ طبعة دار الفكر ومسلم رقم (١٨٩٤) وأحمد ٨٩/٦ ومالك في الموطأ (٢٣٩) والبيهقي في الدلائل ٢٠٨/٧ ، وابن سعد ٢/ ٢/ ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة رقم (٤٤) وأحمد ١٨٢/١ ، ١٨٣ ، ٢١٢ ، ٢٩٧ ، ٣٢/٣ ، ٢٧٨/٥ والترمذي (٣٧٢٤) والبيهقي ٤٤/٨ والطبراني في الكبير ١٦٣/٨ ، والطحاوي في المشكل ٢٠٩/٣ .